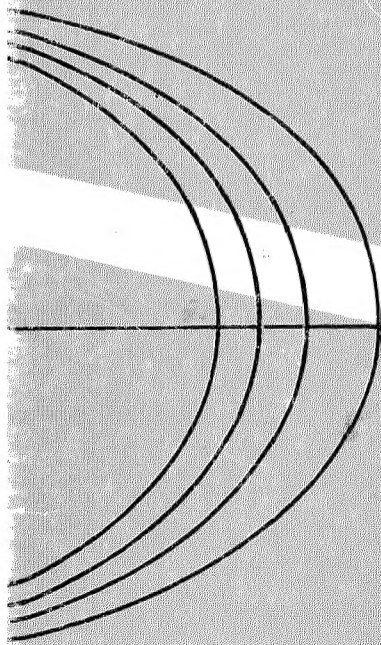


الفكر الجغرافي

الدكتور / محمود أبو العلا
جامعة الأزهر



الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية



الفكر الجغرافي

الدكتور / محفوظ أبو العلا

(جامعة الأزهر)

الطبعة الأولى

١٩٩٧ - ١٩٩٨

اسم الكتاب : الفكر الجغرافي

المؤلف : الدكتور / محمود أبو العلا

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية

تليفون : ٣٩١٤٣٣٧ / فاكس : ٣٩٥٧٦٤٣ (٠٢)

رقم الإيداع : ٩٧/١١٦٥٩

ترقيم دولي : (8 - 1572 - 05 - 977 - I . S . B . N)

تصميم الغلاف : الفنان / محمود القاضي

طباعة : دار اللواء للطباعة - تليفون : ٢٧٩٢٩٤٨ - ٢٨١٦٧٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المكتيب عن الفكر الجغرافي يخصص بين
جنباته تطور الفكر الجغرافي خلال العصور من
القرن الخامس قبل الميلاد وحتى نهاية القرن
العشرين في أسلوب سهل يبرز خصائص هذا
الفكر والعوامل المؤثرة فيه وكذلك اختلافه
بين دولة وأخرى في أوروبا وأمريكا.
أنه الطواف الجغرافي الذي ينيير الطريق
أمام الدراسات الجغرافية والبحث في فروعها
المختلفة.

والله ولي التوفيق،

دكتور محمود أبو العلا

الجيزة - سبتمبر ١٩٩٧

مقدمة

تعريف علم الجغرافية

(١) تعريف Hettner : دراسة الروابط المتباينة للظواهرات ١٨٥٩/١٩٤١

DiFFErential associations of phenomena

ويرى أنه لا توجد أى حدود بين الدراسات الطبيعية والبشرية أو ما بين الإقليمية والدراسات العامة.

(٢) فريدريك راتزل ١٨٤٤/١٩٠٤ تعريف الجغرافية بأنها دراسة العلاقة الثنائية المتبادلة بين الانسان والجغرافية الطبيعية.

الدراسة الإقليمية هي دراسة landscape and landschaft

ويرى العلماء الألمان أن هدف هذه الدراسة الجغرافية دراسة اللاند شافت

ويرى Dicknison فى بحثه عام ١٩٣٩ أن على الجغرافيين الانجليز أن يدرسوا landscape وهو أهم أهداف الدراسة الجغرافية.

(٣) ويرى E.W. Gilbert إن الجغرافية تُعرّف بأنها العلم الذى يدرس الحدود بين الأقاليم وشخصياتها التى تتميز بها - بحث ذكر فى كتاب

Taylar G

Geography in the Twentieth Centuiy

وأن الدراسة الإقليمية هي قمة الدراسات الجغرافية

(٤) الجمعية الجغرافية البريطانية: الجغرافية هي العلم الذي يصف سطح الأرض مع الإشارة إلى اختلافات سطح الأرض والعلاقة بين أجزاء هذا السطح.

(٥) وفي قاموس الكلية الأمريكية بعد مشاوره Hartshorne يذكر أن الجغرافيه هي دراسة الاختلاف في سطح الأرض كما يرى أثر المناخ والسطح والتربة والنبات والسكان واستغلالهم الأرض والصناعات وأثر هؤلاء جميعا في أسباب هذا الاختلاف.

(٦) أما الجمعية الجغرافيه الامريكى فتعرف الجغرافية بأنها ترابط الظواهر التى تعطى مميزات لاماكن معينة تجعلها تختلف أو تتشابه مع أماكن أخرى، يجمع Whittlessey بين النظرتين من الجانبين على أساس Compagl.

(٧) الجغرافية هي علم التكيف البشرى The science of human ecology لأن التبيؤ Ecosystem يجمع البيئة الطبيعية والانسان والنبات والحيوان في إطار واحد.

(٨) يقول Hartshorne الجغرافية هي وصف سطح الأرض وأن أهم هدف للجغرافيه دراسة اختلاف سطح الأرض على مستوى العالم وهذا ما تعبر عنه الجغرافية الاقليمية وهذا ما ذكره في كتاب The Nature of Geography عام ١٩٣٨ p.55 وفى عام ١٩٥٩ اصدر بحثا يخالف فيه موقفه عام ١٩٣٨ ويبدى الاهتمام بالدراسة المنهجية .

الفكر الجغرافى

دراسة فى عرض الفكر الجغرافى بمحتواه الفلسفى والموضوعى منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن العشرين، فهى دراسة جمعت الفلسفة وتطورها خلال الحصور مع هجالات الجغرافية المتسدة بالمعلوم الأخرى ولهذا يسمونها أم العلوم The Mother Of Sciences.

إن المعرفة الجغرافية ذات أصول عريقة تعود إلى أقدم حضارات الإنسان وعمر الجغرافية كموضوع مميز الشخصية على مدى ٢٥٠٠ عام،
ومما تجدر الإشارة إليه أن الفكر الجغرافى الحديث هو وليد جهود
فلاسفة الجغرافية وخلاصة أبحاثهم للمائة سنة الأخيرة أويزيد.

نشأة الفكر الجغرافى وتطوره عبر العصور

أولاً: الفكر الجغرافى الكلاسيكى (القديم) ؛

قبل أن نعرض لهذه الدراسة تجدر الإشارة إلى أن كلمة جغرافية كلمة غير عربية، بل هى كلمة يونانية من مقطعين:

الكتابة graphein ، الأرض Ge

ومعنى الكلمتين، الكتابة عن الأرض أو وصف الأرض أى أن الفكر الجغرافى القديم يتعلق بالفلسفة والكتاب الإغريق.

ومن المعلوم أن وصف البلاد أو وصف جهات الأرض جاء به الرحالة الإغريق.

وفي القرن الخامس قبل الميلاد كتب هيرودوت وهو مؤرخ وعالم إغريقي عن وصف الأماكن والبلاد التي زارها فقد كتب عن الأقطار التي زارها في شرق أوروبا وغرب آسيا وشمال أفريقيا.

لقد شغل شكل الأرض الفكر الإغريقي كنمط من أنماط الفلسفة ليتعرف الإنسان وضعه في هذا الكون وقد إعتبر بعض فلاسفة الإغريق، أن الأرض قرص مستدير تحيط به المياه من جميع الجهات ثم جاء أنكسماندر Anaximander وشبه الأرض بإسطوانة تطفو وسط تكوين غاري مستدير.

إلا أن فكرة كروية الأرض لم تظهر إلا في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد عندما نادت بها مدرسة فيثاغورث والتوصل إلى فكرة كروية الأرض أدت بالفكر الإغريقي إلى تقسيمها إلى عدد من خطوط العرض أو Klimata وقام الفيلسوف بارامانيدس Paramanides. بتمييز خمس نطاقات على سطح الأرض:

- نطاق حار في الوسط.

- نطاقان متجمدان في أقصى الشمال والجنوب بينهما نطاقان معتدلان.

وكان مركز الإهتمام يتركز فى النطاق المعتدل الشمالى، وهو النطاق المعمور حيث توجد «أثينا» وكانوا يسمون هذا النطاق المعمور باسم «العالم المأهول» Ecumene، وهذه أول محاولة لتنظيم الأقاليم على سطح الأرض وإعطائها الخصائص التى تميز بعضها عن بعض، على أن أكبر خطوة خطتها المعرفة الجغرافية ما قام به إراتوستين Eratosthenes فى الإسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد، إذ ألف كتاباً أسماه «الجغرافية Geographica» بهذا يصبح هذا العالم أول من ألف كتاباً أسماه «الجغرافية».

إن هذا الفيلسوف خطا بالجغرافية نحو الأمام بقياس محيط الأرض عن طريق ملاحظته فرق درجة سقوط أشعة الشمس بين أسوان الإسكندرية وقد كان قياسه من الدقة بحيث لم يختلف كثيراً عن القياسات الحديثة لمحيط الكرة الأرضية، ولو عرف «إراتوستين» المسافة بالدقة بين أسوان والإسكندرية لأصبح قياسه لمحيط الأرض لا يختلف عن القياسات الحديثة فقد قدر هذا الفيلسوف أن محيط الأرض ٢٥٠,٠٠٠ ستاديا (الإستاديا = ٢٠٢ ياردة أو ٦٠٦ قدم) ولا يعرف يقيناً طول Stadia فى عهده وفى النهاية زاد تقديره لمحيط الأرض عند خط الاستواء بمقدار ١٥٪.

وقد عارض الفلاسفة الإغريق الذين أتوا بعده هذا القياس لمحيط الأرض محاولين تخطئته مثل بطليموس فى القرن الثانى الميلادى.

-١٠-

أما الفلاسفة الإغريق الذين كتبوا عن النواحي الجغرافية بعد
ايرأتوستين:

Hipparchus	فى القرن الثانى قبل الميلاد
Posidonius	فى القرن الثانى قبل الميلاد
Polybius	فى القرن الثانى قبل الميلاد
Artemidorus	فى القرن الثانى قبل الميلاد

اندثرت كتاباتهم وضاعت فى أوروبا بعد إنهيار الدولة الرومانية فى القرن
الخامس الميلادى، ولكن الكتابات والمذكرات الجغرافية التى تركها
هؤلاء الفلاسفة الجغرافيون قد كتب عنها الإغريق الجغرافى الفيلسوف
سترابو Strabo.

سترابو الجغرافى الإغريقى Strabo:

ولد عام ٦٣ ق.م وتوفى عام ٢٣ ميلادية. لقد مكث سترابو فى روما حتى
٣١ ق.م حيث كتب موسوعته الجغرافية التى تغطى الفترة من عام ١٤٥ ق.م
حتى استيلاء الرومان على بلاد اليونان والتى تتكون من ١٧ جزء سميت
Geographical Sketches.

وفقا لما يلى :

أ- الجزءان الأولان أو الكتابان الأولان اشتملا على أهداف ووسائل
الجغرافية Aims and Methods وذكر سترابو اشارات أو تعليقات فى

كتبه عن الفلاسفة الجغرافيين الأفريق الذين أنشروا كتابهم ولم يعرف عنه شيئاً إلا عن طريق ما ذكره استرابو عظيم سال الكتاب في الأجزاء من الثالث حتى السادس واشتملت على وصف إيبيريا وإيطاليا وقد اعتمد Strabo في وصفه لهذه البلاد على كتابات الجغرافيين الأفريقين إرتيميدور Artemedōru الذي ولد عام ١٤٠ ق.م والذي ألف كتاباً وصفياً عن وصفه حول الأرض المعمرة Inhabited Earth

وفي الكتاب أو الجزء السابع تناول بالوصف نهر الدانوب والسواحل الأوروبية للبحر الأسود.

وفي كتبه الثامن والتاسع والعاشر احتوت وصفاً لبلاد اليونان معتمداً في كتبه على الوصف الذي ذكره في كتبه ارتيمودورس Artemidorus.

وفي الأجزاء الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر وصف السواحل الآسيوية للبحر الأسود والقوقاز وشمال إيران وآسيا الصغرى. وفي كتابه الخامس عشر وصف لفارس والهند. وفي هذه الأجزاء من كتبه اعتمد على المعلومات المستمدة من المؤرخين الأفريق المصاحبين لحملة الاسكندر الأكبر ٣٣١ - ٣٢١ ق.م وقد وصف أيضاً العراق وسورية وفلسطين والبحر الأحمر في كتابه السادس عشر.

وفي كتابه السابع عشر قام بـ وصف مصر والسواحل الأفريقية للبحر المتوسط كما كتب عن موريتانيا أيضاً

ومما تجدر الاشارة إليه بأن المعلومات التى ذكرها سترابو فى كتبه كانت على درجه كبيرة من الدقه كما ذكرت أيضا بأن اهتمام الجغرافى يجب أن يعالج أهمية الموقع والترابط المتبادل بين مختلف الأماكن على سطح الأرض باعتبارها جميعاً أجزاء من كل وقد قال سترابو أن فكرة المكان تكونها المزايا الطبيعية التى يملكها ذلك المكان ضمن إطار العلاقة بالأماكن الأخرى على سطح الأرض.

إن اهتمام الجغرافية بالوصف الدقيق والمترايط لسطح الأرض لاسيما المأهول منها جعل المكان وهو مجال البحث الجغرافى ذات أهمية كبرى وأصبح له مدلولان: المدلول الفلكى الذى يوضح علاقة المكان تبعاً لموقعه من خطوط الطول والعرض، والمدلول الجغرافى الذى يوضح علاقته بالأماكن الأخرى، فى هذا المستوى من الفكر الجغرافى جاء بطليموس الاسكندرى الاغريقى فى القرن الثانى بعد الميلاد ليؤلف كتابه المسمى «الدليل فى الجغرافيا "Geographike Huphegesis" وقد خطا بها الفكر الجغرافى خطوة واسعة لأنه جمع فيه خلاصة الفكر الجغرافى الاغريقى عن الأرض ووصفها وتحديد أماكنها ثم وضعها على خريطة بحسب مواقعها من خطوط الطول والعرض ثم اتبعه بوصف مستفيض لهذه المواقع ميز فيه بين:

- أ- الوصف الكلى للأرض «أى الجغرافى» Geographic
- ب- الوصف الاقليمى المترابط Chorographic .
- ج- الوصف التفصيلى المكانى Topographic

ويعتبر مؤلف بطليموس هذا في غاية الأهمية لأنه لم يظهر بعده ولفترة طويلة من الزمن أى جهد آخر أضاف شيئا جديداً إلى الفكر الجغرافى. وهو يعتبر خاتمة جهود الفكر الجغرافى الكلاسيكى القديم الذى إنتتهت فترته التاريخية بسقوط الإمبراطورية الرومانية فى القرن الخامس الميلادى.

ثانياً: الفكر الجغرافى الوسيط

تأثر الفكر الجغرافى خلال القرون الوسطى بأمور هامة:

- أ- سيطرة الظلمة أو البربرية على أوروبا وإنحسار المسيحية إلى الصوامع والأديرة وأخذت معها ما تمكنت من جمعه من تراث الفكر الكلاسيكى. أى أن الفكر الجغرافى تولاها رجال الدين، وأبرز التأثير الدينى فى الفكر الجغرافى ما ظهر فى رسم الخرائط، إذ كانت ترسم الأرض بشكل مستطيل تتوسطها القدس مركز الإهتمام الدينى وتوضع الجنة إلى شرقها.
 - ب- فى الشرق وفى بلاد العرب برز نور الإسلام وقد إنتسعت رقعته من الصين غرباً حتى سواحل البحر المتوسط شرقاً، وإلى الأقاليم الإستوائية جنوباً.
- ومعنى ذلك أن المعرفة تقلصت فى أوروبا ولكنها بزغت فى الشرق والجنوب فى آسيا وأفريقيا، أى أن التراث الإنسانى وإن تدهور فى أوروبا ولكنه ظهر وإزدهر بظهور الحضارة العربية. وبذلك يصبح المفكر الجغرافى العربى هو الممثل الصحيح للفكر الوسيط وليس المفكر الأوروبى المنحسر.

الفكر الجغرافي العربي

البيئة الجاهلية في شبه جزيرة العرب، والتي تجمع بين الجفاف وشدة الحر ويرد الشتاء، ثم إشتغال البعض منهم بالرعي والتنقل وراء حيواناتهم بحثاً عن الماء والمكاد، وإشتغال البعض الآخر بالتجارة.

لهذا كان عليهم أن يتعرفوا على مواقع الأماكن التي يقصدها وعلى خصائصها وعلى المسالك التي يسلكونها في حركتهم وتنقلهم، لهذا كانت لديهم مهارة في التعرف على النجوم وأبراجها أو ربط ذلك بأحوال المناخ وتغيير الفصول ولهذا تفوقوا في علم الفلك، حتى قبل أن ينقلوا إلى لغتهم مصنفات الهند وفارس.

ولما جاء الإسلام وتوسعت رقعة إنطلاقه شرقاً وغرباً وشملت بعض البلاد التي كان لها حضارات قديمة مثل مصر وفارس والعراق، كان هذا سبباً هاماً لنمو المعرفة الجغرافية عندهم. ثم جاءت عملية الجزية وجمع الخراج وهذا يقتضى التعرف على البلدان المختلفة لتعيين نصيب الفرد من هذه العوائد، ثم كان الحج وكان على المسلمين أن يعرفوا المسالك التي تؤدي إلى مكة ثم كان النشاط التجارى بين أجزاء الدولة الإسلامية فأتى إلى ظهور الكثير من المصنفات والمؤلفات وكانت عليها مسحة جغرافية ثم تطورت بعد ذلك وأخذت ثوباً جغرافياً.

ثم بدأت عملية النقل والترجمة من الهندية والفارسية إلى اللاتينية، وقد انت
الهندية الفينية من بين العلوم التي تأثرت بظهور هذه الترجمة. سادت الاسترايين،
وبطليموس فظيرت المؤلفات ذات الأسماء الجغرافية المختلفة.

شما كان منها يهتم بالأرض كان يحمل عنوان «أورسم» «سيرة» الأرض، وما
كان يتعلق بالفلك كان يحمل اسم «تقويم البلدان»، وما ينطبق بالوصف الخاص
كان يحمل اسم «المسالك والممالك»

اتخذ التأليف الجغرافي الإتجاه التطبيقي العلمي الذي يجعله يختلف عن
الإتجاه الفلسفي الذي طبع الفكر الإغريقي. لهذا يقول المقدسي في مقدمة
كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم).

«وعلمت أنه باب لا بد منه للمسافرين والتجار ولاغنى عنه للصالحين
والأخيار. إذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء ويطلبه القضاة والفقهاء وتحبه
العامة والرؤساء وينفع كل مسافر ويحظى به كل تاجر».

اتجاهات الفكر الجغرافي العربي الوسيط

لقد تعددت الأغراض من المذاهب التي كتبت بها المؤلفات الجغرافية
العربية يمكن إيجارها فيما يلي:

١- الجغرافية الفلكية والرياضية:

سبقت الإشارة إلى الجنود الأصولية لعلم الفلك قبل الإسلام ثم قيام هذا
العلم بعد عملية ترجمة من العلوم الأخرى من الفارسية وفارس إذ نقلوا الجداول
الفلكية عنهما.

ومن العرب البارزين فى هذا المجال «الخوارزمى» الذى إشتهر فى عصر المأمون، الذى وضع جداول فلكية خاصة أسمائها (السند هند الصغير) وألف كتابه المسمى (رسم الأرض) فيه مركز كل مكان على سطح الأرض المعروف أى الأمكنة المعروفة من سطح الأرض نسبة إلى خطوط الطول والعرض، ثم «الغزارى Ghazari» الذى تبنى الأسس الهندية فى وضع الجداول الفلكية غير إنه إستبدل النظام الهندسى فى حساب السنين بالنظام القمرى الذى لازال يستعمل حتى الآن ومما تجدر الإشارة إليه أن ترجمة كتابات «هيباركس» و«بطليموس» جعلت التأثير الإغريقى فى الفلك والرياضة يطغى على التفكير العربى، ومن أمثلة ذلك كتاب ابن خرداذبة «المسالك والممالك» ويقول فى كتابه هذا «وجدت بطليموس قد أبان الجنور»، وأوضح الحجة فى صفتها بلغة أمجية فنقلتها عن لفته باللغة الصحيحة.

٢- جغرافية الوصف:

إهتمام العرب بالنواحى الوصفية كان نتيجة طبيعية لتوسع الدولة الإسلامية، ونتيجة أيضا لقيام العرب بالأسفار والرحلات بدافع الرغبة فى معرفة أحوال البلاد وسكانها، ولهذا طغى أدب الوصف الجغرافى على نواحى المعرفة الجغرافية الأخرى، وأصبحت هذه الدراسة تطوير للدراسة الأفريقية، وكانت هذه الدراسة على مستويين:

أ- الدراسة الإقليمية العامة وذلك بالنسبة للعالم المأهول آنذاك،

ب- الدراسة الإقليمية الخاصة الذي تناول البحث فيه اقليما بذاته مثل كتاب «صفة جزيرة العرب».

ومن بين المؤلفات العامة كتاب المقدسنى «أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم»

ومن بين المؤلفات الخاصة كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى وفنا لايد من الاشارة إلى كتب الرحلات ومن أبرزها رحلة ابن بطوطة وهى حصيلة تجوال فى أنحاء العالم استغرقت ثلاثين سنة قطع فيها ٧٥٠٠٠ ميل، وقد اتجهت الرحلة إلى وصف كثير من الحقائق عن البلاد التى زارها كما اشتملت على كثير من الوصف الخيالى للعجائب التى رآها، وهو أول من عالج ظاهرة الأمطار الموسمية فى اليمن والحبشة والهند.

إن الوصف الجغرافى العربى دراسة فى الجغرافية التاريخية عبر حقبة من الزمن إذ أنها تعتمد على الوثائق المسجلة وكتب التاريخ.

٣- التفسير والتعليل الجغرافى:

اهتم العرب أيضا بتعليل وتفسير الظواهر المختلفة سواء تلك التى شاهدها أو شاهدها غيرهم، ثم قاموا بايجاد العلاقة بين الانسان والبيئة التى يعيش فيها.

فقد ذكر المسعودى فى كتابه مروج الذهب «أما الجبال فتخشى الأجسام وتغلظها لما هى عليه من غلظ التربة ومتانة الهواء وكل بلد اعتدل هواؤه كانت صور أهله وخلاتهم تتناسب البلد الذى يعيشون فيه.

أما فيما عدا هذه الميادين فإن جهود العرب الجغرافية قد زاد كثيرا عما ورثوه عن التراث الكلاسيكى القديم. وفى رسمهم للخرائط أكدوا على أقاليم العالم الإسلامى وجعل مكة تتوسط خريطة العالم وجعل الجنوب مكان الشمال وبالعكس وذلك ضمانا لجعل الأماكن المقدسة تحتل أعلى الخريطة.

إن الفكر الجغرافى العربى الذى إستمر مزدهرا حوالى خمسة قرون قد أخذ يؤذن بالزوال بعد تقلص السيادة العربية بعد ضعف الخلفاء العباسيين. ثم أخذت أوروبا تقيق من كبوتها فى القرن الرابع عشر إذ دخلت عصر النهضة ثم بدأ عصر الإستكشافات الجغرافية الكبرى فى القرن الخامس عشر. لقد أدى عصر النهضة الذى بدأ فى إيطاليا إلى إحياء العلوم الكلاسيكية ومنها الجغرافية.

الجغرافية فى عصر النهضة والإستكشافات الجغرافية

سرخة النهضة الأوروبية Renaissance:

أخذت تدب فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر النهضة فعملت على إحياء العلوم الكلاسيكية وشجعت قيام المجامع العلمية. وقد شهدت الفترة الأخيرة من القرن حدثين هامين:

- أ- عبر المحيط الأطلسى وإكتشاف أمريكا من قبل كولبس وإيسم أسبانيا.
 - ب- إكمال إرتياد المحيط الهندى حول رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الهند بقيادة فاسكو دى جاما بإسم البرتغال.
- إن فكرة إنتصار أسبانيا على العرب فى الأندلس حفزتهم للإندفاع فى أفاق جديدة لما وراء البحار.

وقد إستمرت حركة الإستكشافات هذه ثلاثة قرون. وعندما قارب القرن الثامن عشر على الإنتهاء كانت قارات العالم ويحاره قد عُرِفَت تماما وبذلك تم حل لغز الفكر الجغرافى الكلاسيكى، عن ماهية بقية أجزاء العالم المعمورة، وبقي على العالم أن يتعرف على المحتوى الداخلى لهذه القارات.

لهذا بدأ الفكر الجغرافى إعادة كتابة الجغرافية وعمل خريطة للعالم بشكل آخر تجعلها تختلف عن الخرائط القديمة.

ظهرت محاولات في ألمانيا من قبل «Peter Apian بيتر ابيان»، و«Sebastian Munster سيبستيان مونستر»، اللذان نشرتا مؤلفات جغرافية مهمة وجديدة لم يعرفها العالم منذ مؤلفات سترابو، وبطليموس.

ثم ظهر أحد طلاب أبيان «جيرارد كريمر G.Kremer» وكان مولعا برسم الخرائط وقد عمل على تطوير مسقط الخرائط المعروف بمسقط ميركاتور Mercator Projection المعروف منذ منتصف القرن السادس عشر عام ١٥٥٠ م.

وأهم تطور جغرافى مؤثر ومهم جاء بعد مائة سنة عندما نشر «بيرنارد فيراننيوس B.Verenius» مؤلفاته عام ١٦٥٠ إذ حاول بناء إطار جديد للمفهوم الجغرافى الذى عرضه. فى كتابته وقد عرفت الجغرافيا «بأنها ذلك القسم من المعرفة الذى يتكون من مزيج من الرياضيات Mixed Arithmetics التى بها أمكن وصف الأرض وأقسامها بطريقة كمية.

ثم بعد ذلك يقسم الجغرافية إلى:

أ- الجغرافية العامة، General Geog: دراسة الأجزاء بشكل عام.

ب- الجغرافية الخاصة، Special Geog: دراسة الأقطار المختلفة.

بهذا يكون فيراننيوس قد وضع الأسس الصحيحة ولأول مرة عناصر الدراسة الجغرافية ولنهجى بحثها: المنهج العام SYSTEMATIC والمنهج الاقليمى REGIONAL ونشر هذا فى المجلد الأول من جغرافيته وهو

الجغرافيه العامه GEOGRAPHIE GENERALIS وقد بقى مؤلف فيرانيوس هذا له أهميه فى أوروبا لماثه سنه التاليه دون أن تظهر مؤلفات جغرافيه أخرى ذات بال.

أخذت أوروبا فى القتره التاليه للمفكر Veranus تهتم بالبحث فى العلوم الطبيعيه Natural Sciences وحدث ما يسمى فى أوروبا بالثورات العلميه وظهرت نظريات Newton, Golileo, Copernicus وهذه الثوره الفكرية فصمت العلاقة مع الفكر الإغريقى الكلاسيكى والذى كان يعتمد على التجربة Empirical التى كونت الأسس الحديثه فى البحث العلمى.

وبذلك برزت المعرفة الجغرافيه فى ثوب جديد من الفلسفه العلميه الصرفه Pure Geography فى ألمانيا وذكر الفيلسوف بيشل Peschel (١٨٢٦ - ١٨٧٥) فى كتابه «تاريخ وصف الأرض Geschichte der Erdkunde أن الجغرافيه قد أخذت مكانها الصحيح كعلم مستقل وبدأ الوصف الجغرافى لسطح الأرض يستند على أسس طبيعيه.

وفى هذا المناخ المتشبع بالنظريات العلميه، ظهر الفيلسوف الألمانى «كانت Kant» (١٧٢٤ - ١٨٠٤) الذى كان أستاذًا للمنطق ولم يكن عالما تجريبيا وكان استاذًا للجغرافيه الطبيعيه فى جامعه «كونجزبرج Königsberg» وتلخص نظريته فى أن الحصول على المعرفة يتم بطريقتين:

أ- الفكر المجرد Pure Reason.

ب- الحواس Senses.

أما الإستيعاب الحسى فعلى نوعين:

أ- الحس الذى يتم عن طريق الحواس الداخلية ليكون الحس النفسى Soul.

ب- الحس الذى يتم عن طريق الحواس الخارجية ليكون الحس الطبيعى Nature.

ولما كانت الجغرافية الطبيعية تتناول دراسة الطبيعة فتكون هى الأساس الجوهري لأدراكنا للعالم.

ويعد ذلك يوضح KANT كيفية حصول الانسان على معلوماته فيقول

«لما كانت تجارب الانسان محدودة بالزمان والمكان فمن الضروري أن يستكمل الإنسان معلوماته عن طريق تناقلها مع الغير وهذا يتم عن طريقين:

أ- قصصيه تاريخيه.

ب- وصفيه جغرافية.

وأن كلامنا التاريخ والجغرافيه موضوع وصفى الأول للزمان والثانى للمكان وكون الجغرافية الطبيعية تمثل الاطار العام للطبيعه فانها تشكل قاعده الدراسة لجميع الدراسات الجغرافيه الأخرى مثل الجغرافيه الرياضيه (دراسة شكل الأرض وحجمها وحركتها) والجغرافيه الأخلاقيه ودراسة عادات وتقاليده الانسان وعلاقتها ببيئته والجغرافيه السياسيه والجغرافيه الدينيه وغيرها من أنواع الدراسات الجغرافيه.

وحاولت فلسفة «كانت» لأول مرة تصنيف المعلومات الجغرافية التي كانت مكدسه ووفيره عن الأرض ومظاهرها وتعتمد فيها بشكل منتظم وحسب موضوعات منسقة Systematic بدلا من جردها الموسوعي Encyclopaedic وهو الأسلوب الذي كانت تكتب به الجغرافية.

إن فلسفة «كانت» KANT هذه إن لم تكن تجريبية إلا أنها قدمت منهجاً ومحتوى علمياً أحدث تغييراً في الفكر الجغرافي الذي كان يعتمد على الوصف الطبيعي المجرد إلى فكر جغرافي يربط بين الدراسة الطبيعية لسطح الأرض بالإنسان الذي يعيش على سطحها ، بهذه النظريات والتطورات التي شهدتها الدراسات الجغرافية وقف الفكر الجغرافي على عتبة تطوره الحديث.

الفكر الجغرافي الحديث:

١- محاولة الفيلسوف «كانت Kant» (١٧٢٤ - ١٨٠٤) تصنيف المعلومات الجغرافية حسب مواضيع منسقة Systematic بدلا من جردها الموسوعي Encyclopaedic الذي كانت تكتب به الجغرافية حتى نهاية القرن الثامن عشر لأنه لم يكن هناك بين المثقفين متخصصاً في حقل معين من حقول المعرفة، بل كان المثقف متعدد الثقافات Jack Of All Arts And Master Of Everything، أي يعرف عن كل شيء ولكنه غير متخصص بعمق في حقل معرفة معين لهذا لم تؤت فلسفة «كانت» أكلها ولم تتبلور وتتطور حتى أواسط القرن التاسع عشر على يدى العالمين الألمانين:

١- الكسندر فون همبولت (١٧٦٩ - ١٨٥٩)

Alexander Von Humboldt

٢- كارل ريتير (١٧٧٩ - ١٨٥٩) Carl Ritter

إن كانت جهودهما فى تطوير الفلسفة الجغرافية المنطلق الأول لوضع الفكر الجغرافى الحديث على قواعد الصحيحة،
(وكلا الفيلسوفين عابا على البحث الجغرافى السابق جموده وعقمه
وسطحيته).

ويقول كارل ريتير فى هذا الشأن أو فى هذا الصدد:

«أنه نادرا ما كان يحتوى على تنظيم منسق للمعلومات بل كان مجرد
تجميع مشوش لمختلف أنواع الظواهر المهمة منها وغير المهمة»
«إن البحث الجغرافى يجب أن يكون أكبر من موضوع وصفى عابر، إن
كل ظاهرة تبدو عند فحصها لأول مرة وكأنها مستقلة ومنعزلة عن غيرها ولكن
عند إعادة النظر فيها تكررنا ومع التأمل والفكر، يلمس المرء العلاقة المتبادلة
الموجودة بينها وبين الظواهر الأخرى.

إن هذين العالمين قد عاشا فى نفس العصر وهو النصف الأول من القرن
التاسع عشر، وعاشا فى نفس المدينة «برلين» وعملا فى حقل المعرفة
الجغرافية ثلاثين عاما دون سابق إتفاق على الخط الفلسفى الذى طوره كل
منهما.

يرى العالم الجغرافى Preston james، أن ريتسر Ritter تآثر بأراء همبولت ويرى Dickinson أن ريتسر كان أكبر أهمية وتأثيرا فى الفكر الجغرافى، ويرى Hartshorne أن كلا منهما أثر فى الآخر،
وسنعرض لدراسة كل منهما على حدة:

أولاً: الكسندر فون همبولت: (١٧٦٩ - ١٨٥٩)

كان همبولت منذ نشأته مولعا بالعلوم الطبيعية وذلك لإنتشار الفلسفة الطبيعية فى عهده وقد دفعه ولعه هذا إلى السفر والتجول منذ أوائل العقد الثانى من عمره، فقد زار إنجلترا وسويسرا، ثم زار دول أمريكا الجنوبية وقضى بها خمس سنوات متجولا بين سهولها ووديانها ومرتفعاتها وزار المكسيك وكوبا كذلك، ثم عاد منها إلى باريس عام ١٨٠٤ وقضى فيها أكثر من عشرين عاما نشر خلالها حصيلة جولاته العلمية، وعاد سنة ١٨٢٧ إلى برلين ثم دعاه قيصر روسيا لزيارة أواسط سيبيريا.

أما بقية الثلاثين سنة من عمره فقد كرسها لكتابة سفره الرائع (Cosmos الكون) وقد أتمه قبل وفاته بيومين.

ونذكر فى مقدمة مؤلفه هذا «أن أهم غرض فى دراسة العلوم الطبيعية وحدة الوجود وتباين محتوياتها Unity In Diversity وأهم الافكار التى احتواها مؤلفه Cosmos مايلى:

-٢٦-

- ١- إن الإنسان جزء من هذا الكون.
 - ٢- عن أهمية الأرض ومركز الإنسان بها وإن دراسة الطبيعة تصبح غير كاملة إذا لم يكن الإنسان داخل إطارها.
 - ٣- اعتقاده بالترابط بين جميع الظواهر وأن الأرض وحدة عضوية متكاملة.
- ولهذا كان همبولت عند دراسته لظاهرة ما يتناول علاقة هذه الظاهرة بغيرها من الظواهر الأخرى.
- أى أنه يبحث عن أسباب وجودها والنتائج التى تنجم عن هذا الوجود أى الأسباب والنتائج Cause And Effect مبدأ السببية Causality.
- وكان فى تحليله للظواهر يبحث فى ترابطها كما تبدوا فى توزيعها العام على سطح الأرض أى بطريقة منهجية Systematic.
- ثانياً: كارل ريتتر: (١٧٧٩ - ١٨٥٩)

لم يكن Ritter باحثاً حقيقياً كما كان همبولت، بل إنه أجرى أبحاثه فى المكتبة ورغم ذلك، فهو يقول أن الجغرافيا يجب أن تكون علماً تجريبياً Empirical أكثر من كونها مستمدة من التحليلات الفلسفية والتى يجب أن يسبقها معرفة بسطح الأرض وبنائها على أساس إقليمي Regional أى تحليل العلاقات الجغرافية مستندة على أساس إقليمي وهذا بخلاف همبولت الذى

إيمتد في تحليله للظواهرات وبيان جوانب ترابطها كما تبدوا في توزيعها العام على سطح الأرض Systematic.

أما ريتز فيعتبر الإقليم هدف الدراسة الجغرافية الذي يتبين به كيفية ترابط الظواهرات المختلفة مع بعضها في مكان معين على سطح الأرض ومن المبادئ الأساسية التي يتمسك بها Ritter هي أن الإنسان مركز اهتمام الدراسة الجغرافية وهي فكرة يكررها دوما في مؤلفاته، وخاصة في مؤلفه «وصف الأرض Erdkunde»، إذ يقول في مؤلفه هذا «تقديم سورة لترابط أوضاع الجغرافية الطبيعية لسطح الأرض بإعتبارها موطن للبشر الذين يعيشون على سطحها».

إن الإنسان والأرض في رأي Ritter يقفان بشكل مترابط بحيث لا يمكن فهم أحدهما دون أخذ الآخر في الإعتبار.

المقارنه بين الفيلسوفين:

أنهما يتفقان في كثير من الخطوط العميقة في التفكير الجغرافي وخاصة العلاقات والروابط بين الظواهرات المختلفة وهناك بعض جوانب الاختلاف:

* أن منهج هوبولت عام Systematic.

* أما منهج ريتز فيقوم على أساس إقليمي Regional.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الاختلاف ليس معناه التضارب في أرائهما وذلك لأن منهجيهما يمثلان خطا متكاملان في الدراسة

الجغرافية، وفي سنة وفاتها نشر Charles Darwin كتابه «أصل الأنواع Origin Of Species» فأتى ذلك إلى إبراز أثر البيئة الطبيعية في الظواهر الاجتماعية في المجتمع البشرى وبذلك تحول الثقل في الدراسات الجغرافية إلى الجانب الطبيعي مرة أخرى ولم يقتصر هذا الأثر على الجغرافية بل تعداها إلى التاريخ، ففي كتاب Buckie في مؤلفه «تاريخ الحضارة في بريطانيا» يعطى العوامل الطبيعية منزلة رئيسية في أحداث التاريخ.

وفي الجغرافية أصبحت الظواهر الطبيعية مركز الإهتمام أما الإنسان ووجوده فأصبح يدرس ما له من علاقة بهذه الظواهر.

وأول من حولوا الثقل في الدراسة الجغرافية إلى سطح الأرض وأشكالها Peschel في كتابه «الجيومورفولوجيا Geomorphology».

لقد كانت الظواهر الطبيعية والظواهر البشرية تعالج ككل مع إبراز العلاقات بينهما على أساس السببية أى الأسباب والنتائج إلا أن الثقل في الدراسات الجغرافية منذ ظهور نظرية دارون عام ١٨٥٩ أصبح للبيئة الطبيعية وأثرها في الظواهر البشرية وهذا تحول كبير في الفكر الجغرافى إذ أنكر علماء الجغرافيا وحدة المعرفة في الجغرافية التي تعتبر أنه لا فرق في المنهج بين الظواهر الطبيعية والظواهر البشرية أى بين الأرض والإنسان.

وبذلك أصبح الثقل في الدراسات الجغرافية للظواهر الطبيعية أما الإنسان وما يتعلق بنشاطه فأصبح في المرتبة الثانية ثم جاءت كتابات

الفيلسوف الألماني فريدريك راتزل Friedrich Ratzel (١٨٤٤ - ١٩٠٤) الذي إعتنى بدراسة الظواهر البشرية وأبرز العلاقة بينها وبين الظواهر الطبيعية على أساس السببية وفي كلمة راتزل نفسه باللغة اللاتينية:

Rirum cognoscere causas: to know The Causes Of Things وفي كتابه "Anthropo-Geographie" أبرز أثر العوامل الطبيعية في الظواهر البشرية ولهذا اعتبر أول من نادى بحتمية البيئة الطبيعية: Environmental Determinism، وجاء تلاميذه من بعده وغالوا كثيرا في حتمية البيئة الطبيعية على الإنسان ونشاطه منكرين أن الإنسان عنصر نشط فعال وذكى وله تأثيره على البيئة الطبيعية التي يعيش فيها.

وكان من أبرز تلاميذه الأمريكية Ellen Churchill Semple ألين سمبل، التي ألقت كتابا واتخذت له عنوان كتاب أستاذها Ratzel وأسمته - Anthropo - Geography وكتبت في مقدمة هذا الكتاب «أثر البيئة الطبيعية على الإنسان» إن الإنسان من إنتاج سطح الأرض.

The man is the product of the earth's surface.

بهذا أصبح الفكر الجغرافي تسيطر عليه نظرية حتم البيئة الطبيعية. إلى جانب هذا كان انكار المنهج الذي يقول بوحدة المعرفة الجغرافية لأن منهج الدراسة للعلوم الطبيعية يختلف تماماً عن منهج الدراسة للعلوم الاجتماعية، لهذا أصبح للجغرافية جانبان أحدهما طبيعي والآخر بشري.

الازدواجية فى الجغرافية

إن الفصل بين الدراسة الطبيعية والدراسة البشرية فى نهاية القرن التاسع عشر واهتمام بعض المدارس الجغرافية بالعامل الطبيعى وجعل العامل البشرى فى المرتبة الأدنى، واهتمام المدارس الجغرافية الأخرى بالعامل البشرى وجعل العامل الطبيعى فى مرتبة أدنى أدى إلى ما يسمى بالازدواجية فى الجغرافية Dualistic Concept أو ما يسمى Dualism فى الولايات المتحدة مثلاً كان التركيز فى الدراسة الجغرافية على العامل البشرى وبريطانيا ودول أخرى ركزت على الجانب الطبيعى وفى السويد أخذت المجلة الجغرافية السويدية تنشر أعدادها فى سلسلتين واحدة للجغرافية الطبيعية والأخرى للجغرافية البشرية.

إن التقييم العلمى فى أن الفصل بين الدراسة الطبيعية والدراسة البشرية فى الجغرافيا مرفوض سواء كان ذلك من الناحية الفلسفية أو الناحية المنهجية لأنه لا توجد إلا فلسفة جغرافية واحدة وهى التى تدور حول دراسة الظواهر المختلفة كما تتوزع على سطح الأرض وبحسب علاقتها المكانية المتعددة سواء كانت طبيعية أو بشرية.

وفى بداية القرن العشرين اتسعت دائرة المناقشات بين الجغرافيين لمعارضة نظرية الحتم الجغرافى وازدواجية علم الجغرافية وتقسيمه بين طبيعية وبشرية ونشأت مدارس جغرافية متعددة المذهب فى دول أوروبا والولايات المتحدة تعارض وتقاوم الآراء السابقة التى تمخض عنها الفكر الجغرافى فى القرن التاسع عشر.

الاتجاه إلى الاقليمية في الدراسة الجغرافية:

لقد كانت النظرة الاقليمية في الدراسة الجغرافية في بداية القرن العشرين كرد فعل لانحراف الفكر الجغرافي في القرن التاسع عشر (ازدواجية الجغرافية وحتمية البيئة الطبيعية Dualism and Determinism).

كما أن بناء الدراسة الجغرافية على أساس السببية Causality - الأسباب والنتائج - التي انحرف إليها الفكر الجغرافي في القرن التاسع عشر لا يمكن أن تكون أساساً لعلم ما بعامة والجغرافيه بخاصة لأن العلم يجب أن يقوم على أساس مجموعه من الحقائق الماديه Body of materials تصلح أن تكون مجالا للبحث والدراسة.

لهذا انتشر المنهج الاقليمي في الدراسة الجغرافية بأشكاله المتعددة تحت مظلة «جغرافية سطح الأرض» Landscape geography. وقد انتشر هذا الفكر الجغرافي أو الفلسفة الجغرافية على نطاق واسع في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية إذ تحمس له الكثير من الجغرافيين في هذه الدول واعتبرت الدراسة الاقليمية هي قمة الدراسة الجغرافية.

ويقصد بجغرافية سطح الأرض دراسة كل ما يرى على سطح الأرض من الظواهر المرئية أو الموجودة وهذه منها ما كان من صنع الانسان ومنها ما كان طبيعياً كالغابات والمراعى ومنها ما كان نتيجة التفاعل بين البيئة الطبيعية والانسان ويذكر Brunhes إن دراسة اللاند سكيب Landscape يتم بطريقة

تمسح ما على سطح الأرض من الظواهر المختلفة لتبيين للدارس خصائص هذه الظواهر والعلاقات فيما بينها .

لقد استمر المنهج الاقليمي فى الدراسة الجغرافية أكثر من ستين عاماً وأن كان قد ناله بعض الضعف بعد الثورة الصناعية فى نول الغرب إذ تحول الفكر الجغرافى بعدها إلى الدراسة المنهجية أو الموضوعية أو الدراسة العامة Systematic geog. وأن هذه الدراسة المنهجية فى طبيعتها ستؤدى إلى ظهور الاختلاف والتمييز بين مكان وآخر وهذا بعينه جوهر النظرة الاقليمية ولو أن هذه النظرة المنهجية لاتعنى الاقليم لذاته ولكنها تصل فى نهاية المطاف إلى تمييز الأقاليم بعضها عن بعض واختلافها .

يتجلى المنهج الاقليمي فى صوره المختلفه فى المدارس الجغرافية الآتية:

أولاً: المدرسة الألمانية:

يعتبر الفريد هتتر Alfred Hettner من أهم الفلاسفة الألمان (١٨٥٩ - ١٩٤١) وظهرت كتاباته عام ١٩٠٨). الذين نادوا بالوحدة الجغرافية فى التفكير منذ النصف الأول من القرن العشرين وقد أخذ بجميع أطراف الفلسفات المتضاربة وصياغتها فى ثوب جديد فقد أزال الفروق أو الحدود القاطعة بين الدراسات الطبيعية والدراسات البشرية فى الجغرافيا وبين الدراسات الاقليمية والدراسات العامة وذلك لأن الجغرافيا تعنى بدراسة الترابط المتباين بين الظواهر كما توجد على سطح الأرض ،

Different associations of phenomena

Unity in Diversity أي الوحدة الموجودة بين محتواها المتباين

يرى Hettner أن هدف الجغرافيه معرفة الاختلافات المكانية بين جزء وآخر من سطح الأرض ومعرفة الأسباب التي أدت إلى ذلك والعلاقات بين الظواهر الطبيعية المختلفة.

وقد قسم العالم إلى أقاليم طبيعية في كل قارة على أساس السطح والمناخ والنبات ولعل هذا الاتجاه الاقليمي كان للخروج من مشكلة الازدواجية في الجغرافية

وعند دراسته لقارة آسيا مثلاً قسمها إلى:

١- خمسة أقاليم طبيعية كبرى Macro Regions

أ- شمال آسيا ، ب- جنوب آسيا ، ج- وسط آسيا ، د- شرق آسيا ، هـ- غرب آسيا .

ثم قسم كلاً من هذه الأقاليم الطبيعية إلى أقاليم طبيعية أصغر منها Micro Regions.

ثم أخذ Hettner في دراسة الأقاليم الطبيعية الصغرى ومعرفة شخصية كل منها على أساس ما بها من ظاهرات بشرية مختلفة وأن Hettner بهذا الاتجاه يرى تقسيم العالم إلى أقاليم. أن هذه الاقليمية أو التصور

الاقليمي Regional Conception قد تجاوب معها كثير من الجغرافيين في الدول الاخرى.

استمرت الدراسة الاقليمية في ألمانيا تحت اسم

"Landschaft geography"

واعتبر الجغرافيون الألمان أن دراسة اللاند شافت هو الهدف الرئيسي في الدراسة الجغرافية فالعالم الألماني Schlutler مثلاً يرى أن اللاند سكيب الطبيعي واللاند سكيب الحضاري لا يمكن فصل بعضهما عن بعض لأن اللاند سكيب الطبيعي تحول خلال القرون الطويلة لأثر الانسان فيه وتغييره له نتج عنه اللاند سكيب الحضاري القائم حالياً.

وأن هذا اللاند سكيب الحضاري له شخصية مميزة عن شخصيات الأقاليم الأخرى المجاورة.

ثانياً: المدرسة الفرنسية:

قام فيدال دي لابلش Vidal de la Blache بتقديم فلسفة أخرى قائمة على النظرة الاقليمية للطبيعة الجغرافية.

Regional view of the nature of geography:

وقد نحا فيدال نحواً آخر غير الذي سلكه هتتر Hettner فهو لم ينظر إلى البيئة الطبيعية كعامل منفصل عن الجماعات التي تسكنها بل نظر إليها كوحدة

واحدة Unit إذ أن كل منهما يكون مزيجا واحدا.

The Two Form A Complicated Amalgam وعلى هذا الأساس قسم فرنسا إلى أقاليم سماها Les Pays وهي أقاليم متميزة كل منها له طابعه الخاص وقد جاء هذا الطابع نتيجة للتفاعل بين البيئة الطبيعية والجماعات البشرية التي تسكنها قرونا وقرونا ولهذا برز الطابع المميز لهذه الأقاليم بعضها عن بعض وهو يرى أن الإنسان له من الأهمية في الدراسة الجغرافية ما لعناصر البيئة الطبيعية وله من القدرات ما يجعله حراً تجاد عناصر البيئة الطبيعية.

وذكر فيدال أن هدف الجغرافية هو دراسة هذه الأقاليم المختلفة أرضاً وسكاناً.

أصبح للمدرسة الفرنسية ثقلاً في الدراسات الجغرافية إذ أصبحت المدرسة الفرنسية ذات تأثير بالغ في الفكر الجغرافي. وأصبح لهذه المدرسة تأثير بالغ في نشر الدراسة الإقليمية في دول أوروبا والولايات المتحدة،

ونشر فيدال دي لابلش الكثير من الكتب التي أهمها جغرافية العالم Geographie Universelle ثم جاء أحد طلاب فيدال دي لابلش وهو لوسيان فيفر Lucein Febvre الذي قام بمهاجمة المذهب الحتمى (حتمية البيئة الطبيعية) وتنادى بأن الإنسان ليس عنصراً سلبياً في البيئة التي يعيش فيها بل

إن الإنسان له نشاطه ذكاؤه وإمكانياته وأنه يستطيع أن يؤثر في هذه البيئة التي لا تملك حتميات تفرضها على الإنسان بل إن الإنسان حر تماما وهو السيد في البيئة التي يعيش فيها وقادر تماما على إستخدام عناصرها التي تناسبه بدون حتمية من جانب البيئة الطبيعية التي يعيش فيها وسمى هذا المذهب الإمكانى Possibilism. وأصبح تلاميذ لوسيان فيفر يغالون في إمكانيات الإنسان ليقاوم ويعارض مذهب الحتمية السائد في عهده ولكن هذا التطرف في المذهب الإمكانى أحدث ردود فعل وجدل ومناقشات حول أهمية العامل البشرى في البيئة الجغرافية وبين الجغرافيين المؤيدين لمذهب الحتمية. إستمر الجدل بين الفريقين حتى الستينيات من القرن العشرين أى بعد الحرب العالمية الثانية وأخيرا جاء فريق آخر من الجغرافيين وقدم حلا وسطا بين المتطرفين من الجانبين وهو المذهب الترجيحى Probabilism أى أحيانا ترجح كفة البيئة الطبيعية وأحيانا ترجح كفة الإنسان أى أحيانا تكون الغلبة للبيئة الطبيعية وأحيانا تكون الغلبة للعنصر البشرى.

ثالثا: المدرسة البريطانية:

قام هيربرتسون Herbertson بإصدار مؤلفه عن الأقاليم الطبيعية الكبرى فى العالم عام ١٩٠٥م. Thw Magor Natural Regions Of The World. واتخذ المناخ أساسا لهذا التقسيم بهدف التمييز بين أنواع النبات الطبيعى على سطح الأرض. وقد إعتد هيربرتسون فى تقسيمه هذا على كتاب

Köppen الذى صدر عام ١٩٠٠م. وقسم فيه العالم إلى أقاليم مناخية.

وقد أخذ هيريرتسن فى اعتباره ظاهرة الارتفاع والانخفاض فى سطح الأرض إلى جانب أنواع المناخ وإبراز اثار ذلك على النبات الطبيعى.

وقد قسم هيريرتسن العالم إلى خمسة أقاليم طبيعية هى:

أ- الأقاليم القطبية.

ب- الأقاليم المعتدلة الباردة.

ج- الأقاليم المعتدلة الدافئة.

د- الأقاليم المدارية.

هـ- الأقاليم الاستوائية.

ولكننى أرى أن هذه الدراسة ليست دراسة اقليمية بالمعنى الصحيح ولكنها دراسة عامة لظهور أوجه الاختلاف على سطح الأرض.

ثم جاء العالم ميل H.R.Mill الذى اعتبر أن سطح الأرض يضم أقاليم طبيعية مختلفة وأن الانسان يؤثر فى هذه الأقاليم ويتأثر بها. وعلى هذا الأساس قسم انجلترا إلى أقاليم طبيعية بمعاونة كل من شيشولم Chisholm وماكندر Mackinder ثم قام العالم R.E. Dickins الذى رأى أن دراسة اللاندسكيب هى أهم أهداف الدراسة الجغرافية وهى بمعنىها دراسة اقليمية.

ثم جاء بعدهم فليور Fleure عام ١٩٣٩ وأبرز دراسة اقليمية تعتمد على دراسة التفاعل بين البيئة الطبيعية

والانسان Men environment Interactions وهذا نفس الاتجاه الذى
سلكه فيدال دى لابلش.

قام فليير Fleure بتقسيم العالم إلى أقاليم على أساس وفرة الغذاء
وسهولة أو صعوبة الحصول عليه وهذه الأقاليم هى:

١- أقاليم الغنى والزيادة Regions of increment مثل أقاليم البحر
المتوسط.

٢- أقاليم الصعوبة Regions of Difficulty مثل أقاليم المرتفعات.

٣- أقاليم الجوع Regions of Hungry مثل الأقاليم القطبية.

٤- أقاليم العجز والضعف Regions of Dilapidation مثل الأقاليم
الاستوائية.

٥- أقاليم الفقر Regions of Poverty مثل أقاليم الصحارى.

تفصح دراسة اعلام الفكر الجغرافى فى بريطانيا أنه كان فى بداية
القرن العشرين كان يقوم على أساس الأقليم الطبيعى حتى بداية الحرب العالمية
الثانية وبعدها أخذ الجغرافيون الانجليز يبتعدون عن الأقليم الطبيعى ويتجهون
نحو الأقليم الوظيفى كترجمة للتفاعل بين الانسان وبين البيئة الطبيعية التى
يعيش فيها كما يرى ذلك فى أقاليم Fleure وتقسيمه العالم على أساس انتاج
الغذاء.

إن كلاً من المنهجين السابقين يدخلان في صميم تعريف علم الجغرافيا فقد عرفها راتزل بأنها دراسة العلاقات الذاتية بين الإنسان والبيئة الطبيعية التي يعيش فيها. وعرفها هارتسهورن بأنها دراسة الاختلافات على سطح الأرض وعرفها ديكنسون Dickinson بأنها دراسة اللاندسكيپ وعرفها هنتنر Hettner بأنها دراسة الاختلافات بين أجزاء سطح الأرض.

وعرفتها الجمعية الجغرافية البريطانية بأنها العلم الذى يصف سطح الأرض وما به من ظواهر مختلفة وأسباب هذا الاختلاف.

من هذا يتضح أن المنهج الاقليمي هو أساس الدراسة الجغرافية وإن جنح الجغرافيون بعيداً عن دراسة الاقليم الطبيعي.

رابعاً: المدرسة الأمريكية

فى أمريكا اتجه الفكر الجغرافى إلى المغالاة فى أثر الإنسان فى البيئة الطبيعية أو ما يسمى باللاندسكيپ الحضارى Cultural Landscape وهكذا ابتعد الجغرافيون الأمريكان عما يسمى بالاقليم الطبيعي إلى الاقليم الوظيفى Functional Region فنجد مثلاً العالم الأمريكى هويتلسى Whittlesey عام ١٩٣١ قد أصدر بحثاً يبتعد فيه تماماً عن الدراسة الإقليمية التقليدية إلى نوع من الدراسة الإقليمية على أساس Compages أو ما يشغل مساحة صغيرة من الأرض من نشاط اقتصادى وذلك بأن أخذ مساحة من الأرض بها تجانس على أساس واحد فقط هو طريقة استغلال الإنسان للأرض على أساس اقتصادى

-٤.-

Man's occupance of the earth ثم يدرس المظاهر البشرية والمظاهر الطبيعية دون أن يتبع الترتيب التقليدي في الدراسة الإقليمية. أي أن الجغرافيين الأمريكيين كان تركيزهم على أثر الإنسان في البيئة الطبيعية التي يعيش فيها.

لقد قسم هويتلسي Whittlesey العالم إلى أحد عشر اقليماً هي:

- ١- إقليم تربية الحيوان المتنقل في الأقاليم الجافة Nomadic Herding.
- ٢- إقليم تربية الحيوان على نطاق واسع كما هو الحال في استراليا ونيوزلندا.
- ٣- إقليم الزراعة المتنقلة في الأقاليم المداري.
- ٤- إقليم الزراعة المستقرة في الأقاليم المداري.
- ٥- إقليم الزراعة الكثيفة للاستهلاك الذاتي كما هو الحال في بعض مناطق الصين.
- ٦- إقليم الزراعة الكثيفة في شمال الصين وتختص بزراعة الأرز.
- ٧- إقليم الزراعة الواسعة لأغراض تجارية كزراعة الموز والسكر والشاي.
- ٨- إقليم زراعة البحر المتوسط.
- ٩- إقليم الزراعة الواسعة للحبوب مع قلة السكان وذلك باستخدام الآلات.
- ١٠- إقليم تربية الحيوان لأغراض تجارية والزراعة القائمة من أجل تربية الحيوان في المناطق الفقيرة في شرق أوروبا.

١١- أقليم تربية الحيوان لأغراض تجارية والزراعة القائمة فيها من أجل تربية الحيوان في المناطق الفنية في الدنمارك وهولندا .

في أمريكا يتجلى تطبيق النظرية الامكانية Posibilism والتي سبقت الاشارة إليها وهي التي تركز على أثر الانسان في البيئة الطبيعية التي يعيش فيها أي تقسيم الأرض على أساس النشاط واستغلال الأرض ويبدو واضحاً في الفكر الجغرافي الأمريكي أنه تطور أو تحول من دراسة أقليم طبيعي إلى أقليم وظيفي أي تركيز الاهتمام على النشاط البشري.

ازدهرت الدراسات الاقليمية في أمريكا في الفترة الأولى من القرن العشرين وحتى نهاية الخمسينات من هذا القرن وأبرز الجغرافيون الأمريكيان Hartshorne الذي اهتم بالدراسة الاقليمية وأصدر بحثاً عنوانه The nature of geography عام ١٩٣٨ عرف فيه الجغرافية بأنها تتركز على دراسة اختلافات سطح الأرض الذي يتكون من ظاهرات مختلفة Mosaic يجعلها تختلف من مكان إلى آخر على سطح الأرض وركز Hartshorne أيضاً على استخدام الخرائط لإبراز هذه الاختلافات على سطح الأرض واعتبر هارتسهورن أن الدراسة الجغرافية دراسة تركيبية Synthetis أي تدمج الظاهرات المتقاربة في أسبابها لتعطى وصفاً كاملاً للأقليم يبرز شخصيته التي تجعله متميزاً عن الأقاليم الأخرى أو الأماكن الأخرى وهذا ما تعنيه الدراسة الاقليمية.

ويذكر Hartshorne أن هناك نوعين من الأقاليم:

أ- الأقليم الذى تتماثل وتتشابه فيه الظاهرات المختلفة وهذا الذى يسمى اقليماً

جغرافياً أو اقليمياً طبيعياً Formal Region.

ب- الأقليم الوظيفى الذى تقوم وحدته على ظاهرة واحدة تشغل مساحة معينة

من الأرض كإقليم القمح أو إقليم الذرة أو مدينة تجارية مركز للمواصلات.

ومن الجغرافيين الأمريكان C.O.Sauer ١٩٤١ الذى يركز على دراسة

اللاندسكيب الحضارى مع التركيز على الظاهرات البشرية ويرى سائر

Sauer أنه لادعى لدراسة التطور التاريخى لهذه الظاهرات أو حدودها، لأنه

يدرس اللاندسكيب الحضارى كما هو موجود فعلاً.

ومن بين الجغرافيين الأمريكان Whittlesey عام ١٩٣١ الذى جنح إلى

طريقة أخرى فى دراسته الإقليمية. فقد إبتعد عن دراسة الإقليم الطبيعى

وإبتعد أيضاً عن المغالاة فى أثر الإنسان فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها

فقد قسم سطح الأرض على أساس مساحات صغيرة من الأرض سماها

Compages بها تجانس على أساس واحد فقط هو طريقة الإستغلال

الإقتصادى للإنسان فى المساحة الصغيرة من اللاندسكيب أو سطح الأرض

التي يعيش بها.

وقد لقى تقسيم Whittlesey لسطح الأرض على أساس نوع الإستغلال

البشرى Man's Occupance Of The Earth قبولاً بين الجغرافيين الأمريكان.

الفكر الجغرافى المعاصر

هيمنت دراسة الأقليم والاقليمية على الفكر الجغرافى خلال النصف الأول من القرن العشرين وكان المنهج الاقليمى فى الدراسة الجغرافية له الصدارة فى هذه الدراسة سواء فى دول غرب أوروبا أو فى الولايات المتحدة.

ولكن المنهج الاقليمى تضاعلت أهميته منذ الخمسينات من هذا القرن بصفة عامة بعد الثورة أو الانقلاب الصناعى وما نتج عنه من تقدم حضارى فى دول غرب أوروبا والولايات المتحدة لأن هذا التقدم التكنولوجى قلل من الترابط بين البيئة الطبيعية وأثرها على الانسان.

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن الجماعات المتخلفة سواء فى البيئات الزراعية أو الرعوية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية مازال يظهر فيها يقينا أثر البيئة الطبيعية فى الانسان الذى يعيش فيها ولهذا كانت الدراسة الاقليمية فى هذه المناطق تبرز وتوضح الاختلاف فى أقاليم سطح الأرض فى هذه المناطق الواسعة من العالم. إلا أن الجغرافيين بوجه عام وفى الولايات المتحدة بشكل خاص يوجهون نقداً هراً إلى الدراسة الاقليمية ويصفونها بأنها:

أ- دراسة جامدة ووصفية.

ب- التصنيف الاقليمى متناقض وبدائى ساذج.

ج- الدراسة الاقليمية تثير السأم والملل فى تتابع الظواهر الطبيعية وبعدها النشاطات الاقتصادية مما يجعل المعلومات فى الدراسة الاقليمية مسطحة متقطعة لا يبدو فيها الترابط بين الظواهر المختلفة.

-٤٤-

د- الدراسة الاقليمية يظهر فيها سطحية التحليل العلمى الذى يقوم به الجغرافيون.

هـ- الدراسة الاقليمية أصبحت دراسة عتيقة قد عفا عليها الزمن ولا تتفق مع أسلوب البحث العلمى الحديث.

ويطالب هؤلاء النقاد الجغرافيون بالاهتمام بالدراسة العامة (الموضوعية فى الجغرافيا) Systematic وأن تكون لهذه الدراسة الصدارة بدلاً من جعل هذه الصدارة للدراسة الاقليمية وهنا لا بد من الإشارة إلى كل من المنهجين فى الفكر الجغرافى.

أ- الدراسة الاقليمية Regional

ب- الدراسة المنهجية أو الدراسة العامة Systematic

أولاً: الدراسة الاقليمية

تتناول هذه الدراسة:

١- الظواهر الطبيعية مثل:

الموقع - التركيب الجيولوجى لسطح الأرض - أشكال سطح الأرض -
المناخ - النبات (خمس ظواهر)

٢- الظواهر البشرية اجتماعية واقتصادية

السكان - المدن - الانتاج الزراعى - النشاط الصناعى - النقل -
النشاط التجارى - تربية الحيوان البرى والبحرى (٧ ظواهر)

فى كل دراسة اقليمية يجب أن تشتمل على هذه العناصر الطبيعية وأثرها فى الظواهر البشرية.

ثانياً: الدراسة الشاملة أو الموضوعية

Systematic or topical studies

يقصد بالدراسة المنهجية تجميع القواعد والقوانين فى علوم لا تنتمى أصلاً إلى الجغرافية مثل علم السكان علم الزراعة وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النقل والمواصلات وبذلك لاتصبح الجغرافية علماً بل مجمع للعلوم المختلفة وأنه على الجغرافى أن يأخذ من هذه العلوم وفروعها المختلفة ما يلزمه فقط لإيضاح العلاقة والتفاعل بين البيئة والانسان.

وبذلك يصبح الفكر الجغرافى المعاصر وكأئنه قسمة بين الدراسات الاقليمية والدراسات الموضوعية أو الدراسة العامة Systematic.

الأولى يتزعمها البروفسور C.A. Fisher فى بريطانيا وهورئيس قسم الجغرافية فى معهد الدراسات الشرقية والافريقية فى جامعة لندن، والثانية يتزعمها فى الولايات المتحدة الجغرافى الفيلسوف Hartshorne وزملاؤه.

هذا الوضع لايعطى الصورة الحقيقية للدراسات الجغرافية فى جامعات العالم ففى الولايات المتحدة نفسها فى احصاء قام بها Perloff عام ١٩٥٧ إن الولايات المتحدة بها ١٤٠ جامعة تحتوى برامجها على دراسات اقليمية - والجامعات فى دول غرب أوروبا وروسيا برامجها تحتوى على دراسات اقليمية

أيضاً ودراسات عامة أو موضوعية إلا أن الدراسة الاقليمية القائمة حالياً ليست غالباً عن الأقليم الطبيعي أو الأقليم الجغرافى ولكنها دراسة اقليمية لاتعنى بالمكان Landscape ولكنها تعنى أقاليماً وظيفية أساسها اقتصادى أى تعنى باللانديسكيب الحضارى لسطح الأرض وليس سطح الأرض ذاته بصفة أساسية كما هو الحال فى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية.

أولاً: المدافعون عن الدراسة الاقليمية الجغرافية

يرى هؤلاء أن الدراسة الاقليمية هى الأساس الذى تتضمنه تعاريف العلماء لعلم الجغرافية لأنها تربط بين آثار البيئة الطبيعية على النشاط الاجتماعى والاقتصادى لهؤلاء السكان الذين يعيشون فى هذه البيئة وأن أية دراسة جغرافية لاتأخذ فى اعتبارها أوفى حسابها الظواهر الطبيعية من موقع وسطح الأرض ومناخ ونبات على النشاط البشرى فهى دراسة جغرافية منقوصة.

وحقيقة أن هناك قصور وعيوب فى الدراسة الجغرافية الاقليمية إلا أنه من الواجب على الجغرافيين تصحيح هذا النقص أو هذه العيوب فمثلاً يتجه بعض النقاد إلى الدراسة الاقليمية بأنها دراسة جامدة وأنها لاتهتم بدراسة الروابط المختلفة الاقليمية الفعالة Dynamic وأن يهتم الجغرافيون بربط الظواهر ببعض لتعطى للأقليم شخصيته المتميزة.

يذكر الدكتور C.A.Fishr في بحث نشرته مجلة Geography عدد نوفمبر عام ١٩٧٠ مايلي:

«أنه من المؤسف أن يظهر بين الجغرافيين من ينادى بالتقليل من شأن الدراسة الاقليمية في الجغرافية أو يقلل من شأن البيئة الطبيعية كعامل مؤثر في النشاط البشرى، وأنه من الزيف الابتعاد عن الحتم الجغرافى والارتقاء فى أحضان المذهب الامكانى Possibilism والمغالاة فى جعل الظواهر البشرية كتلة كبيرة غير متباينة تحركها الآلات الحاسبة. أنه من أهم الواجبات على أساتذة الجغرافية الاهتمام بدراسة الأرض والسكان معاً ككل متكامل يضاف على الأقليم الشخصية التى يتميز بها»

وتتحمس رابطة الجغرافيين البريطانيين فتدافع عن الدراسة الاقليمية فى الجغرافية فى مجلة Geography عدد يوليو عام ١٩٧٧ فى تقرير لها يذكر مايلي:

أن الجغرافية الاقليمية هى دراسة أجزاء معينة من سطح الأرض لظواهر العلاقات بين الظواهر الطبيعية للبيئة وبين الظواهر البشرية المختلفة من اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية. وهى التى تمكن الجغرافى من ادراك خصائص الأقاليم المختلفة ومعرفة أوجه التشابه أو الاختلاف فيما بينها.

أما الدراسة الجغرافية العامة أو Systematic Study فإن الانتباه يتركز على الظواهر العامة وليس نحو المكان وأنه من الممكن للجغرافى أن يقوم

بالدراسات الجغرافية العامة تحت مظلة الجغرافية الاقليمية Under the regional Umbrella وهذا هو الهدف الأول للجغرافية منذ القرن الخامس قبل الميلاد.

وتأسف الرابطة لما يذكره البعض من أن الجغرافية الاقليمية قد عفا عليها الزمن وأنها دراسة غير علمية وأن الدراسة الجغرافية العامة Systematic Studies وهى التى يجب أن يركز الجغرافيون اهتمامهم عليها.

إن الدراسة الاقليمية ليست وصفية جامدة كما يقولون وأنها لاتضغ فى حسابها عامل الزمن فلا تعنى بالتغيرات التى حدثت أثناء فترات التاريخ. لهذا يهيب أعضاء الرابطة البريطانية للجغرافية بأساتذة الجغرافية أن يجعلوا الدراسة الاقليمية دراسة حية Dynamic وذلك بإبراز العلاقة والتفاعل بين ظاهرة جغرافية وأخرى. ومن المستحسن فى دراسة الجغرافية الاقليمية أن تأخذ الوحدة السياسية أو الدول كإقليم طبيعى واحد حيث تتوفر الاحصائيات السكانية الاقتصادية وبذلك تيسر للجغرافى دراسة العلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية ويدرس كذلك التجارة الخارجية والقوى البشرية العاملة فيها.

ويهيب أعضاء الرابطة بأساتذة الجغرافية أن يأخذوا فى اعتبارهم عامل الزمن فى الماضى والحاضر ومكانية التنبؤ بالمستقبل وكذلك يجب أن يكون

التحليل والربط في الدراسة الاقليمية قائم على الاستنتاج والاستدلال والتنبؤ Deductive Predictive بهذا يصبح الجغرافى عضواً هاماً فى دراسة التخطيط فى الدول للحاضر والمستقبل.

ويهيىب أعضاء الرابطة أيضاً بأن لايتقيد الجغرافيون بالترتيب التقليدى فى الدراسة الاقليمية (الموقع - البيئة - أشكال سطح الارض - المناخ - التربة - النبات - الزراعة القائمة - الصناعة - توزيع السكان - المدن الخ) لان هذا الترتيب للمعلومات لا يوفر الترابط المطلوب بين البيئة والانسان.

إذ أن المهم فى الدراسة الاقليمية «تركيب المعلومات» Synthetis بحيث تبرز العلاقات بين الظاهرات المختلفة. لأن المهم فى الدراسة الاقليمية ابراز العلاقات بين عوامل البيئة الطبيعية وبين النشاط الاقتصادى والاجتماعى للانسان.

ثانياً: القائلون بأهمية الدراسة الجغرافية العامة

Systematic Studies

يرى الجغرافيون فى الولايات المتحدة أن الدراسة العامة فى الجغرافية أهم كثيراً من الدراسات الاقليمية من أجل العيوب التى شابت هذه الدراسة والتى سبقت الإشارة إليها.

ومن هؤلاء الجغرافيين الأمريكيان:

١- أيكerman Ackerman وقد قدم بحثاً بهذا المعنى عام ١٩٤٥.

٢- شايفر Shaefer وقد قدم بحثاً بهذا المعنى عام ١٩٥٣.

٣- ألمان Ulman وقد قدم بحثاً بهذا المعنى عام ١٩٥٣.

ثم جاء عميد الجغرافيين في الولايات المتحدة عام ١٩٥٩ هارتسهورن والذي سبق أن سجل في مؤلفه الضخم «طبيعة الجغرافيا» عام ١٩٣٨ أن الدراسة الإقليمية لها الصدارة في الدراسات الجغرافية وأن الدراسة العامة في المقام الثاني بعد الدراسة الإقليمية لأن الدراسة الإقليمية هي التي تبرز الاختلافات على سطح الأرض وتعمل على دراسة أسباب هذه الاختلافات وأن هذا من أهم أهداف الدراسة الجغرافية - ثم غير رأيه في بحث عنوانه "Perspective on the nature of geography" عام ١٩٥٩ نظرة في طبيعة الجغرافية. عبر فيه عن صدارة الدراسة العامة Systematic في الدراسة الجغرافية وأن الدراسة الإقليمية في المقام الثاني وأن الدراسة الجغرافية بوجه عام تستخدم النوعين من الدراسة الشاملة والإقليمية.

والترجمة الحرفية لبعض ما جاء في مقاله «نظرة في طبيعة الجغرافية» ما

يلي:

«إن الجغرافية تعنى البحث والوصف والتفسير للاختلافات من مكان إلى

آخر على سطح الأرض (كسكن للإنسان) وهذه الاضافة إلى ما سبق ذكره عام

١٩٣٨ من تعريف الجغرافية بأنها دراسة الاختلافات على سطح الأرض تعنى الكثير فهي تعنى الظواهر البشرية أو الاقتصادية على سطح الأرض وليس سطح الأرض ذاته بمعنى دراسة الغطاء الحضارى القائم حالياً على سطح الأرض وتفسيره وتعليله والارتباط بين الظواهر القائمة حالياً أى Cultural Landscape وهذا كل ما يهم الجغرافى أى لا يهم الجغرافى شكل سطح الأرض وأشكالها فهذا من صميم دراسة أخرى الدراسة الجيومورفولوجية كما لا يهمه أيضاً الكثير من الظواهر الطبيعية الأخرى.

ويرى Hartshorne أيضاً أن العوامل الطبيعية والبشرية لا تدرس منفصلة عن بعضها البعض وإلا رجع الحال إلى ما كان عليه من اقرار بحتمية البيئة الطبيعية Determinism.

هناك وجه اختلاف بين الجغرافين الأمريكان والبريطانيين بعد الخمسينات من هذا القرن فيما يتعلق بالجغرافية الطبيعية أى دراسة سطح الأرض والغلاف الجوى والمحيطات والنبات والحيوان. مثل هذه الدراسة فقدت أهميتها فى الولايات المتحدة وذلك نتيجة للمبالغة فى الحتم الجغرافى للبيئة الطبيعية السائدة فى النصف الأول من القرن العشرين فقد رغب علماء الجغرافية فى الولايات المتحدة التخلص من أية آثار للحتم الجغرافى والاتجاه إلى المذهب الامكانى بأن يكون الانسان هو القوة الفعالة فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها فهو يتكيف معها وييسرها لخدمة أغراضه وهذا يتفق مع تعريف الجغرافية

بأنها Human ecology أو التبيؤ البشرى وصاحب هذا الاتجاه فى الولايات المتحدة إزالة الدراسات المناخية والبيولوجية (النبات والتربة والحيوان) من المناهج الجغرافية وأن يحل محلها مقدمة فى الجغرافية الطبيعية.

هذا العزوف الأمريكى عن الدراسات الطبيعية فى الجغرافية لانجد له مثيلاً فى بريطانيا أودول غرب أوروبا. كما أن الدراسة الموضوعية أو المنهجية Systematic studies أصبح لها الصدارة فى الدراسة الجغرافية فى هذه الدول.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العلاقة بين الانسان والبيئة قد تغيرت تماماً بعد الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجى الذى تعيشه الولايات المتحدة حالياً فلا عجب أن يتجه فلاسفة وعلماء الجغرافية إلى الابتعاد عن الجانب الطبيعى فى الجغرافية وتجاهله بعد أن أصبحت البيئة ليست شيئاً ثابتاً لا يمكن تغييره أو أن للبيئة حواجز لا يمكن تخطيها لأنه أصبح كل شئ فى البيئة الطبيعية يمكن تغييره عن طريق الثقافة والتكنولوجيا حتى أن فقر الانسان فى البيئة المدرية يمكن تغييره.

إلا أن دراسة المكان أو سطح الأرض لا بد منه وأن علم الجغرافية هو علم دراسة سطح الأرض وما عليه من اختلافات ومن ظواهر مختلفة ومعرفة سبب هذا الاختلاف وأن أية ظاهرة على سطح الأرض سواء محلية أو عالمية التوزيع فلا بد أن تكون هذه الدراسة ضمن إطار مكانى محدد أو إقليم.

ولهذا فليس هناك تناقض فى المنهج الجغرافى سواء دراسة الظاهرة بشكلها العام Systematic أو دراسة هذه الظاهرة وترابطها مع الظواهر الأخرى لتضفى على المنطقة سمة مميزة أى أقليمية Regional فالدراسة الأولى تحليلية والدراسة الثانية تكوينية أو بنائية.

لهذا كانت الدراسة الإقليمية Regional أو الدراسة العامة Systematic يحتاجهما البحث الجغرافى.

وهنا تجدر الإشارة إلى ما سبق ذكره فى أول ها البحث هل الفكر الجغرافى قسمة بين الإقليمية وبين الدراسة العامة واجابة هذا السؤال نقول أنه ليس هناك انقسام فى المنهج الجغرافى بين الدراستين.

اذن لابد من القول بأن الدراسة الإقليمية جانب أساسى فى البحث الجغرافى وكذلك الدراسة العامة أو المنهجية جانب أساسى فى البحث الجغرافى.

ففى الدراسة الأولى (الإقليمية) الاقليم هو المجال الذى تتيسر فيه ملاحظة ترابط الظواهر مع بعضها وخلالها يمكن التعرف على مدى التشابه أو التباين الذى يسود سطح الأرض. كما أن الدراسة الإقليمية تجمع جدائل الدراسات العامة أو المنهجية من العلوم الأخرى وتجعلها وحدة تظهر فيها ادماج العناصر الطبيعية والبشرية من أجل اظهار شخصية الاقليم.

والدراسة الثانية فنتبج عند تناول ظاهرة معينة بالدراسة والتحليل بقصد، تصنيفها والتعرف عليها ومعرفة توزيعها على سطح الأرض فان ذلك سيتم بطريقة جغرافية سليمة أيضاً وللباحث الجغرافى أن يختار بينهما وفقاً لما يقصده الباحث من دراسته.

ومما تجدر الاشارة إليه أن طرق البحث العلمى الجغرافى متعددة ومتطورة أيضاً مع الزمن.

تطور فلسفة طرق البحث الجغرافى

ما دامت الجغرافية تختص باعطاء الانسان وصفاً للعالم الذى يعيش فيه فان الجغرافيين المعاصرين يعانون كثيراً فى وصف هذا العالم المعقد كما يصعب عليهم الاختيار بين الظاهرات المختلفة التى سيتولون شرحها وتفسيرها وتحليلها لأن أمامهم أن يختاروا بين ظاهرات اجتماعية واقتصادية وسياسية اضافة إلى البيئة الطبيعية وجميعها فى تغير مستمر وكان على الجغرافيين أن يسرعوا الخطا فى ابراز النظريات التى تصف هذا العالم المعقد.

إن تاريخ طرق البحث الجغرافى متغيرة خلال الأجيال السابقة من الجغرافيين الذين اجتهدوا فى تحديد ما يتطلبه البحث الجغرافى - ففى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين،

كان البحث الجغرافى يعتمد على المذهب الحتمى وتلا ذلك اعتماد الجغرافيين على المذهب الامكانى ثم ظهر مذهب وسط بين المذهبين السابقين

وهو المذهب الترجيحي أى أن البحث الجغرافى شأن يتأرجح بين السفسفية
الامكانية.

ثم جاء المذهب الاقليمى كعلاج للمكر الجغرافى الذى انزعجت نعر العتمية
أو الامكانية أو الترجيحية، بأن ربط بين البيئة الطبيعية والإنسان وجعل منهما
مزيجاً واحداً. وكان ذلك ما نادى به المفكر الالماني هتتر Hettner. أما فى
فرنسا فقد قام فيدال دى لابلش فى بداية القرن العشرين بتقسيم فرنسا إلى
أقاليم صغيرة سماها Les pays ودرس فيها البيئة الطبيعية
والمجموعات البشرية التى سكنتها وربط بينهما لأن كليهما فعال وله أثر فى
الأخر Man- enviroenment interrelations وأن المظاهر المحلية فى كل من
هذه الأقاليم يختلف بعضها عن بعض - وقد أنتشرت نظرية لابلش هذه وتألفت
خلال النصف الأول من القرن العشرين وخاصة فى المجتمعات الزراعية التى
تعتمد على الإنتاج المحلى فى معيشتها إذ يصبح هناك طعاماً ولباساً إقليمياً
ومهندسة اقليمية فى المساكن وكانت نظرية لابلش الاقليمية تصلح تماماً لدراسة
الجماعات الزراعية.

ولكن بعد الانقلاب الصناعى وظهور وسائل النقل الحديثة السريعة قضى
على الأنماط الاقليمية فى المجتمعات البشرية، أما فى المجتمعات الصناعية فانه
يصعب ايجاد الروابط بين الانسان والبيئة الطبيعية التى يعيش فيها لأنها لم
تكن شيئاً ثابتاً لا يتغير أو أن لها حواجز لا يمكن تخطيلها فقد تغيرت عن طريق

التقدم الثقافى والتكنولوجى حتى أن البيئات الطبيعية فى المناطق المدارية التى عرف الانسان بفقره فيها قد تغير حالها بعد استخدام التكنولوجيا فى جنباتها فأمكن استغلالها إلى أقصى حد متاح.

إن الدراسة الاقليمية التى كان أساسها الاقليم الطبيعى وما يشتمل عليه من تركيب سطح الأرض وما على هذا السطح من تكوينات ثم المناخ والنبات وما على سطح الأرض من ظاهرات اقتصادية واجتماعية وتحليل الترابط بين الناحيتين الطبيعية والبشرية وبذلك تظهر شخصية الاقليم التى تميزه عن الاقاليم الأخرى.

كانت هذه الدراسة الاقليمية على أساس الاقليم لها الصدارة فى الدراسات الجغرافية وكانت الدراسة العامة Systematic فى المقام الثانى ولكن ما لبث الوضع أن تغير وأصبحت الدراسة الجغرافية تنصب على الغطاء الحضارى لسطح الأرض أو ما يسمى بالاندسكيب الحضارى Cultural Landscape هو الغطاء المنظور للاندسكيب والذى يتجمع فيه النشاط البشرى من جميع نواحيه Assemblages وهو أيضاً مظهر للتفاعل بين الانسان والبيئة More environment interaction سواء فى انجلترا كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند تقسم فليور Fleure لسطح الأرض إلى أقاليم على أساس وفرة الغطاء أو قلته أو فى الولايات المتحدة عندما قسم Whittlessey سطح الأرض إلى أقاليم على أساس زراعى.

إن هذه الدراسة الاقليمية القائمة حالياً لاتعتمد على أقليم طبيعى إذ لم تعد الأرض أو المكان يؤخذ فى الحسبان، والضربة الأخرى التى أصابت الدراسة الاقليمية اضمحلال مكانتها فلم تعد كما كانت تشغل مركز الصدارة فى الدراسة الاقليمية بل تخلت عن مكانتها للدراسة العامة Systematic studies التى أصبحت تحتل مركز الصدارة فى الدراسة الجغرافية منذ الخمسينات من هذا القرن وخاصة فى الولايات المتحدة ويتضح هذا يقيناً من بحوث ايكerman عام ١٩٥٠ وبحوث شيفر Shaefer عام ١٩٥٥ وبحوث هارتسهورت Hartshorne عام ١٩٥٩.

وصاحب هذا التغير فى طرق البحث الجغرافى استخدام الاحصاءات فى الدراسة الجغرافية Statistical methods والتى أصبحت تمثل أهمية كبيرة فى هذه الدراسة - إن استخدام الطرق الاحصائية يفسر الكثير من العلاقات بين الظواهر المتعددة والاختلافات المكانية مما يساعد على تفسير التكيف مع البيئة.

وقد استخدمت الطرق الاحصائية منذ منتصف الستينات من هذا القرن وقد انتشر استخدامها فى المشكلات الجغرافية لسببين رئيسيين:

أ- أن الطرق الاحصائية تبرز الارتباط بين الظواهر المختلفة وكأنها منحة من السماء Godsend مكنت الجغرافيين من النظر السليم إلى الحقائق الجغرافية. كما أن الدراسات الاحصائية تجعل من الجانب الطبيعى والجانب البشرى كلا مترابطاً.

ب- الطرق الاحصائية جذبت الجغرافيين إليها لأنها تمكنهم من حل المشكلات،
التي تقابلهم. وهي الطريقة المثلى لدمج المجتمعات البشرية بالبيئات التي
يعيشون فيها.

كما أن الطرق الاحصائية تجنب الباحثين السقطات التي قابلها
الجغرافيون في الماضي.

وإلى جانب استخدام الطرق الاحصائية في البحث الجغرافي استخدام
النماذج Models واستخدام الطرق الكمية Quantitative لتوضيح العلاقات
الجغرافية للظواهر بصورة علمية دقيقة.

ومن طرق البحث المعاصرة استخدام الادراك بعيد المدى Remote
Sensing الذي تطور مع تقدم علوم الفضاء والذي أخذ يكتسب أهمية متزايدة
في البحث الجغرافي لأنه يسهل عملية الاطلاع على التباين للمساحات الواسعة
من سطح الأرض وإلى جانب طرق البحث الحديثة التي سبقت الإشارة إليها
استخدام الخرائط بأنواعها لتيسير ادراك التباين المكاني.

المذهب الانتقائي في البحث الجغرافي

الجغرافية كوجهة نظر للباحث الجغرافية مجالها متسع جداً ويختلف من
موضوع إلى آخر ومن زمن إلى آخر، لهذا كان على الباحث الجغرافي أن
لا يتقيد بطريقة معينة للبحث ولا يكون الجغرافي أسير طريقة معينة في
الماضي أو الحاضر بل عليه أن ينتقى من طرق البحث ما يناسب الموضوع

الذى يبحثه Eclectic سواء المذاهب القديمة للبحث أو المذاهب المعاصرة فهناك مثلاً من يبحث مدينة ما وهناك من يبحث فى موضوع السكان وهناك من يبحث فى مشكلة اجتماعية أو يبحث التخطيط المستقبلى للانتاج الزراعى أو الصناعى أو يبحث موضوعاً مشتركاً بين ظاهرة اجتماعية وطبيعية.

وهنا أتخير قولاً لأحد فلاسفة الجغرافية «يجب أن الآ يكون الباحث الجغرافى سجيناً فى صومعة الفكر الجغرافى قديماً أو حديثاً، وإذا كان متخلفاً فى الفكر الجغرافى عليه أن يسرع الخطى قفزاً حتى يلحق بركب العلوم الحديثة».

مصادر البحث

(١) المصادر الأجنبية

الكتب:

- 1- Ackerman, Edward, **Geography as a fundamental Research Discipline**. University of Chicago, Chicago, 1958.
- 2- Bernal, J.D., **Science in History**. Watts and Co. London, 1954
- 3- Chorley, Richard and Haggett, Peter (eds), **Frontiers in Teaching Geography**. Methuen and Co. 2nd, edition, London, 1970.
- 4- Dickinson, Robert, **The Makers of Modern Geography** Routledge and Kegan paul, London, 1970.
- 5- Feeman, T.W., **A Hundred years of Geograpy**. Gerald Duckworth and Co., London, 1965.

- 6-Haggett, peter, **Locational Analysis in Human Geography**. Edward Arnold, London, 1968.
- 7- Hartshorne, Richard, **The Nature of Geography**. Lancaster, Pennsylvania, 1939.
- 8- , **Perspective on the Nature of Geography**. John Murray, London, 1961.
- 9- Harvey, David, **Explanation in Geography**. Edward Arnold, London, 1969.
- 10- James, Preston and Jones, Clarence (eds) **American Geography, Inventory and Prospect**. Syracuse Univ. Press, 1954.
- 11- Taylor, Griffith (ed), **Geography in The Twentieth Century**. 3rd. edition. Methuen, London, 1957.
- 12- Wooldridge, S. and East, W., **The Spirit and purpose of Geography**. Hutchinson University Library, London, 1967.

المقالات

- 1- Borcherst, John R., **Remote Sensors and Geographical Science** (The Professional Geographer, Nov., 1968, pp. 371-375).
- 2- Crist, Raymond, **Geography**. (The Professional Geographer, Sept., 1969, pp. 305-307).
- 3- Cooke, R.U. and Harris, D.R., **Remote sensing of the Terrestrial Environment Principles and Process**. (Institute of British Geographers. Transactions No. 50 1970, pp. 1-20)
- 4- **Geography**. The Encyclopaedia Britannica, 1956.
- 5- Henderson, H.C., **Geography's Balance sheet**. (Institute of British Geographers. Transactions No. 45. 1968, pp. 1-9)
- 6- Olson, Charles, **Accuracy of Land use Interpretion from Infrared Imagery in the 4.5 to 5.5 Micro Band** (The Annals of the AAG., VR. 57, No. 2 June 1967 pp. 382-388)
- 7- Pounds, Norman, **Northwest Europe in the Nineth Century. Geography in the Light of the Polyp-tygues**. (The Annals of the AAG., Vol., 57, No. 3, Sept., 1967, pp. 439-461).

(٣) المصادر العربية

- ١- أغناطيوس يوليانونوفتش كراتشوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى -
جزءان، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة - ١٩٦٣.
 - ٢- المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة خياط - بيروت.
 - ٣- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة - بيروت.
 - ٤- رحلة ابن بطوط، دار صادر - بيروت ١٩٦٤.
 - ٥- مقدمة العلامة ابن خلدون - مطبعة الكتاب - بيروت.
 - ٦- دكتور حسن طه نجم: دراسة فى الفكر الجغرافى - مجلة الأستاذ - المجلد
الحادى عشر - بغداد ١٩٦٣.
- (ملاحظة) اقتبس من هذه المجلة بعض الآراء عن الفكر الجغرافى فى
هذا الكتيب.

أسئلة فى الفكر الجغرافى

- ١- من أول أفريقى ألف كتابا سماه الجغرافيا ، وما هى أعماله التى أفادت الفكر الجغرافى؟
- ٢- اذكر ما تعرفه عن الفيلسوف الاغريقى Parmanides برمانيدس .
- ٣- أدرس مؤلفات استرابو الجغرافيه وأثر هذه المؤلفات فى أحياء الفكر الجغرافى الاغريقى؟
- ٤- أدرس هذه العبارة
«على الجغرافى أن يدرس أهمية الموقع والترابط بين مختلف الأماكن على سطح الأرض. سترابو»
- ٥- أدرس أثر بطليموس فى الفكر الجغرافى؟
- ٦- أدرس أثر رجال الدين فى الفكر الجغرافى؟
- ٧- كيف نما الفكر الجغرافى العربى؟
- ٨- اشرح هذه العبارة
«اختلف الفكر الجغرافى العربى من الفلسفة التى طبعت الفكر الجغرافى الاغريقى مبنى ومعنى»

٩- اذكر ما تعلمه عن

ج- الغزاري Ghazari

ب- الخوارزمي

أ- المقدسي

١٠- كيف تمكن العرب من تطوير الفكر الجغرافي الاغريقي؟

١١- ادرس هذه العبارة

«استمر الفكر الجغرافي العربي مزدهراً خمسة قرون ثم أذن بالزوال»

١٢- اكتب عن كريمر Kremer وبنارد فيرانيوس في عصر الـ Renaissance
عصر النهضة.

١٣- اذكر ما تعرفه عن:

أ- أثر الثورات العلمية في أوروبا بعد عصر Veranius

ب- الفيلسوف كانت وأثره في الفكر الجغرافي وما الذي أضعف أثره في
هذا الفكر.

١٤- قارن بين فلسفة كل من كارل ريتز والكسندر هامبولت بشكل موسع؟

١٥- اكتب في أثر مؤلفات Charles Darwin في الفكر الجغرافي .

١٦- The man is the product of the earth's surface

علق على هذه العبارة من دراستك للفيلسوف Ratzel ١٨٤٤/١٩٠٤ وتلميذته

١٧- ادرس وحدة الفكر الجغرافي وعلاقته بالأزدواجية في الجغرافية.

١٨- اكتب في المذاهب الفلسفية للبحث الجغرافي .

١٩- اكتب عن الانحرافات في الفكر الجغرافي في القرن التاسع عشر.

-٦٧-

٢٠- أدرس ماذا يقصد بـ Landscape Geography

٢١- قارن بين الدراسة الجغرافية العامة أو الشاملة Systematie والدراسة الإقليمية Regional

٢٢- قارن بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الألمانية في الفكر الجغرافي الذي اتخذه أو نماء كل منهما .

٢٣- اكتب عن الدراسة الإقليمية في المدرسة الأمريكية أو في الولايات المتحدة.

٢٤- انقد هذا القول

« الفكر الجغرافي المعاصر قسمة بين الدراسة الإقليمية والدراسة العامة Systematie

٢٥- اذكر ما تعرفه عن:

أ- بطليموس هو الخاتم للفكر الجغرافي في العصر الكلاسيكي.

ب- بيرنارد فيرنانديس B. Varnieel هو الخاتم للفكر الجغرافي في عصر النهضة

٢٦- أدرس تطور طرق البحث الجغرافي.

٢٧- قارن فاسفة الفكر الجغرافي لكل من همبولت وكارل ويتز وأثرهما في وضع الفكر الجغرافي الحديث على قواعد علمية صحيحة

٢٨- اذكر ما تعرفه عن:

أ- الفرد هتتر Hettner وأثره في الفكر الجغرافي.

ب- المدرسة الإقليمية الانجليزية.

ج- خصائص الفكر الجغرافي المعاصر.

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة